

المنظومة التربوية في الجزائر:

من المقاربة بالأهداف إلى الكفاءات إلى الكفاءات الشاملة

أ.جدي مليكة

جامعة الجزائر 03

الملخص:

عرفت المنظومة التربوية الجزائرية تطورات فيما يخص المناهج بحيث تم اعتماد مقاربات مختلفة. في البداية تم تطبيق المقاربة بالأهداف التي أنتجت جيلا غير نشط من الحفظة بسبب أساليب التلقين، والسلبية والسكون. مما أدى بوزارة التربية الوطنية إلى ضرورة تبني مقاربة أخرى تسمى بالمقاربة بالكفاءة. تسعى هذه المقاربة إلى جعل التلميذ أو المتعلم محورا للعملية التعليمية أي فاعلا نشطا قادرا على قيادة العملية التعليمية. إلا أن الطريقة الاستعجالية التي تم بها اعتماد هذه المقاربة، خاصة فيما يخص تكوين المكونين والكتب المدرسية أدت إلى نتائج عكسية تطلبت إصلاحا آخر سمي بـ "المقاربة بالكفاءة الشاملة". هذه الأخيرة لا تخلو من مخاطر التلاعب بالقيم والثقافات وبالهوية. الكلمات المفتاحية: المقاربة، البيداغوجية، الأهداف، الكفاءة.

Abstract :

Educational system in Algeria has been evolving especially in methods through using different approaches. First, goals approach which produced a passive generation of heart- learners. This led the secretary of education to replace it with the competence- based approach; which makes the learner the center of learning process. However, the way this approach was approved resulted in unexpected consequences. The fact that pushed again the secretary of education to think of another alternative approach to underline teaching- learning processes. The choice was made and the decision was what is known as "whole competence based approach." Unfortunately, this approach is seen by many scholars as a true threat to identity and culture.

مقدمة:

أسالت التربية الوطنية ولازالت تسيل من الحبر، وتثير الكثير من الجدل. رغم ما كتب عنها وقيل فيها إلا أن النتيجة دوما الوصول إلى طريق مسدود يتطلب في كل مرة التوقف عنده لوقت لاكتشاف الأخطاء وتداركها قبل المضي قدما والتفكير في أمور تفوق مقدرات مؤسسات التربية الوطنية.

و من أهم الموضوعات التي احتلت مكانا بارزا في الدراسات التربوية و شغلت مجالا واسعا من اهتمامات الباحثين والمهتمين بقطاع التربية الوطنية موضوع البيداغوجية وبالتحديد الجزئية المتعلقة بالمناهج. هذه الأخيرة عرفت حركة إصلاحات متعددة من خلال اعتماد مقاربات مختلفة تدرجت من الأهداف إلى الكفاءات ثم الثقافة.

في ضوء هذا التقديم نطرح السؤال الموالي: كيف تم هذا الانتقال؟ وما هي آثاره على المدرسة وعلى المجتمع؟ وللإجابة على السؤال التالي عمدنا اتباع الخطوة التالية:

- 1- المقاربة بالأهداف وتبعاتها
- 2- المقاربة بالكفاءة ونقائصها
- 3- المقاربة بالكفاءة الشاملة ومخاطرها

أولا: المقاربة بالأهداف

الهدف لغة هو القصد، المرمى، أو الغرض الذي نسعى لتحقيقه. أما اصطلاحاً فهو يعبر عن مجموع السلوكيات والتغيرات والانجازات التي يراد تحقيقها عند تعلم ما، علماً أن السلوك هو حالة من التفاعل بين الكائن الحي ومحيطه، أي العلاقة بين المثيرات والاستجابات.

والمقاربة بالأهداف حسب القاموس التعليمي الفرنسي هي:

"بيداغوجية تحت إلى ربط الهدف المسطر بالعملية الاجرائية وإمكانية تحقيقه، ويوجد هناك هدف عام مقسم إلى أهداف ثانوية وتسعى كلها إلى تحقيق الهدف العام. وهذه المقاربة تعمل على تقسيم وقت المتعلمين إلى كتل متتالية وصغيرة الحجم من أجل تحقيق كل هدف علمي."¹

اهتمت هذه المقاربة بالجانب الاجرائي، وأهملت الجانب البيداغوجي حيث أزلت فيه الفعل الانتقادي وحولته إلى ردود فعل مشروطة وتجاهل أي خصوصية وأي نوع من التفكير الإبداعي لدى المتعلم.²

وهي بيداغوجية ذات مصدر أمريكي سادت فيه الفلسفة النفعية التي تحت على تحقيق الفعالية والمردودية في العمل المدرسي، وبالتالي يمكن اعتبارها أحادية البعد كونها غير متفتحة على نظريات التعلم كنظرية التعلم المعرفي، أو نظرية التعلم الاجتماعي، أو نظرية التعلم النفسي الاجتماعي. فهي منغلقة بدرجة متطرفة في التزعة السلوكية، بحيث تساعد الأستاذ على تحديد الهدف من النشاط التعليمي وترجم محتويات التدريس إلى أهداف، ووضع خطط دقيقة لتحقيقها، ويضيفها إلى معارف ومهارات ومواقف.³

إلا أن هناك بعض النقائص السلوكية كانهدام التلاؤم بين المكتسبات المدرسية وما يتطلبه حل المشكلات التي تصادف التلميذ في حياته العامة، فهي تنظر فيما سيحققه المتعلم وما يمكن بلوغه في حصة تعليمية محددة. لا تكتفي هذه المقاربة بالتركيز على كل ماهو قابل للملاحظة والقياس ما جعلها تنحرف بالفعل التربوي إلى فعل تعودي يعدم الخصوصية والتميز ويستبعد التفكير والابتكار،⁴ هذا ما أحدث الفجوة في التعليم العربي عامة والجزائر خاصة وعلى حد قول نبيل على ونادية حجازي ان مثل هذا التعليم وليد للطباعة والذي ينسلخ متعلميه في طباعات متكررة كما تنسلخ آلة الطباعة كتبها.⁵ كما يبين أن هذا التعليم الفاشل أدى إلى تعاسة المتعلم الذي لا يوجد ما يميزه فيه عن أقرانه، وكأن التلاميذ أسراب طير تسير في طريق مظلم، كما أن الكبار قد أحرسوا أفواههم ورسخوا لديهم التزاعات السلبية وحددوا من أفق حياتهم وطمس ملاحهم الذاتية. بحيث أن المتعلم لا يستعمل في عقله المعجز إلا جزءاً صغيراً منه وهو الذاكرة التي يستخدمها ليحفظ بها الحقائق عن ظهر قلب، وكثير منها قد تجاوزها الزمن وعفا عليه الدهر.⁶

2 تبعاتها:

إن التقويم في هذه المقاربة يرتبط بالتأكد من اكتساب التلميذ لما تم تعليمه إياه عن طريق استرجاع البحث أو عن طريق قياس الاهداف الإجرائية، وهذه الاساليب تبقي التقويم في دائرة الاهتمام بمعدل الفرد ورتبته بين أقرانه وبالتالي تقويم يركز على جمع الدرجات لإصدار الحكم بمدى أهلية المتعلم للانتقال إلى مستوى أعلى،⁷ ما يتيح الفرصة للمتفوقين بالتعلم بشكل أفضل وأسرع من الآخرين. بمعنى أن المعلمين يعطون الاهتمام أكثر للإنتاجية (هل نفذ التلميذ ما قدم له أكثر من تقييم كفاءته).⁸ هذا ما يؤدي في نهاية الأمر إلى تحول الظروف الاصلية الموجودة بين التلاميذ إلى عدم المساواة في النجاح المدرسي وبالتالي صنع الفشل المدرسي لعدد كبير من التلاميذ الذين لا يستطيعون مسايرة المتفوقين. وهذا ما عرفته الجزائر قبل إصلاحات 2003، نظراً للنسبة الضئيلة لعدد الناجحين في البكالوريا.

فما دام التلاميذ مختلفين في إدراكهم لما لا يتم التركيز على تفجير الطاقة الخلاقة التي أودعها الله لنا، لذا لابد من تعلم مختلف يستغلونه ويستثمرونه ويفجرون به الكثر المكنون علما ان التعلم يعني إعداد الأفراد لتعلم ما يحتاجونه وفقا لمبدأ الطلب وحل المشكلات والتفكير النقدي والإبداعي والابتكاري، اي إنتاج نظم معرفية ملائمة للمجتمع الذي نعيش فيه وهذا ما ذهب إليه مالك بن نبي في "كتابه مشكلة الحضارة مشكلة الثقافة" أن المتعلم العربي والمتعلم الجزائري لا يحصل على الفعالية الاجتماعية مقارنة بالمتعلم الأمريكي رغم تدريسهم بنفس الشروط، فالثقافة كما يعرفها تخص السلوك الاجتماعي الذي يصاحب تصرفات الفرد في ذلك المجتمع ولا تضم في مفهومها الأفكار فحسب.⁹

فالمقاربة بالأهداف تجعل المتعلم منقادا بشعور من يبحث عن ضالة أثناء دراسته بينما نجد العكس في الدول الغربية او حتى في دول أوروبا الشرقية التي يتناول فيها المتعلم الموضوع وهو ممتلئ بشعوره، أي انه يصف واقعا اجتماعيا شاخصا أمام عينيه في نظم بلاده وفي فعالية السلوك حوله،¹⁰ عكس المتعلم الذي درس عم طريق المقاربة بالأهداف والتي تجعله منعزلا عن محيطه وغير متفاعل معه رغم المكتسبات العديدة التي اختزلها إلا أنه يبقى غير قادر على توظيف مكتسباته في وضعيات جديدة وفي هذا الصدد قيل لمالك بن نبي في العالم الغربي "عليك بخاصة نفسك" ما سبب له حيرة من نفسه بسبب الروح الانعزالية التي شاعت في المجتمع.

إن التعليم وفق هذه المقاربة ذات هدف اجتماعي فالتلميذ او الطالب يقبل أساليب تعليم تكفل له فرصة النجاح والحصول على الشهادة وليس كهدف علمي وإعطاء فرصة لتأهيله وتدريبه فهي تقوم على أسلوب التملك¹¹ الذي يكتفي فيها المتعلم بالتصنت للدرس وفهم معناها وبنائها المنطقي وتسجيلها حرفيا في مذكرتهم لأن هذا يوفر لهم النجاح في الإمتحان، وبهذا فإن المتعلم العربي يبدأ وينتهي بالتلقين مما يقوده إلى الاستسلام وينمى حدوث التغيير ومن هنا يتعلم اللغو ويتقبل الكلام الأجوف.¹²

ويضيف هشام شرابي ان التعلم في الوطن العربي كما يجري دائما في إطار العائلة يتميز بصفيتين: أولها ان التعليم يقلل من أهمية الإقناع والمكافئة، والثانية يزيد من أهمية العقاب الجسدي والتلقين¹³، بحيث يعتمد التعليم بشكل رئيسي على التردد والحفظ بحيث لا يبقى مجالا للتساؤل والبحث والتجريب، ويرى أن الطالب يتلقى نماذج متكاملة ويحولها إلى نط سلوكي دون أن يفهم أو ينقد مما يضعف طاقة الإبداع والتجديد ويبقى مجرد مستقبل جامد وساكن وهذا ما أكدته تقرير التنمية البشرية لعام 2003: "إن مشكلة التعليم العربي تبدأ قبل المدرسة، فهي تبدأ من الأسرة حيث تغلب أساليب تربوية تركز الهيمنة الأبوية والخضوع، كما تنسم هذه الأساليب بحمائية مبالغ فيها وفي كلتا الحالتين يتعود الطفل على فقدان أي دافع للمبادرة الذاتية والثقة بالنفس،"¹⁴ أو اي دافع للاتصال بالآخرين وتكوين تصورات وأراء مستقرة والبحث عن حلول مبتكرة للمشكلات التي سيواجهها في حياته اللاحقة، كذلك فإن المدرسة لا تساعد الطفل على التخلص من التأثيرات السلبية للتربية العائلية السابقة بل على العكس فهي تركز الانضباط والتبعية والخضوع ولا تساعد على التفكير النقدي والتحليلي الحر.

من خلال ما تم طرحه نستنتج أن المقاربة بالأهداف تنتج شبابا بكم هائل من المعارف لكنهم غير أكفاء، وغير مؤهلين في الحياة العامة كونهم لم يتعلموا كيف يستثمرون هذه المعارف خارج سياق الامتحانات، لهذا فليس من الغريب أن نشاهد التراجع المتزايد لنوعية التعليم تعكس مشكلة تستدعي البحث والتحليل وإعادة النظر في أساليب ومناهج التعليم بما يحقق الموازنة مع الظروف الاجتماعية المحيطة والظروف الدولية.

وتأسيسا على هذا حاولت الجزائر أن تأخذ بعين الاعتبار ما جاء في مبادئ منظمة اليونسكو عام 1995 لتشكيل الإطار العام لإستراتيجيات التعليم والتعلم مدى الحياة في القرن الحادي والعشرين "تعلم لتعرف، تعلم لتكون، تعلم لتعلم، وتعلم لتعيش مع الآخرين".¹⁵ وقد تجسد ذلك من خلال اعتماد المقاربة بالكفاءات.

ثانيا: المقاربة بالكفاءات:

1- تعريفها: تعرف الكفاءة على أنها تعبير عملي على قدرة الشخص على تفعيل موارد مصرفية مختلفة لمواجهة نوع محدد من الوضعيات ومن ثم فهي تدل على قدرة الفرد على حسن التصرف وعلى حسن اختيار الحل المناسب أمام المشاكل التي تعترضه.¹⁶

أما مقارنة الكفاءات فهي تعبير عن تصور تربوي بيداغوجي ينطلق من الكفاءات المستهدفة في نهاية أي نشاط تعليمي أو نهاية مرحلة تعليمية لضبط استراتيجية التكوين في المدرسة من حيث طرائق التدريس والوسائل التعليمية وأهداف التعلم وانتقاء المحتويات وأساليب التقويم وأدواته.¹⁷

لقد تم تطبيق هذه المقاربة ابتداء من السنة الدراسية 2003-2004، وكرسها القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04-08 المؤرخ في 23 جانفي 2008. وقد تم تعميم المناهج وفق هذه المقاربة من طرف لجنة وطنية للمناهج والمجموعات المتخصصة في تعميم المناهج منذ سنة 1998، كما كان لمشروع pare أثناء اللقاء الجهوي حول المقاربة بالكفاءات وتطوير المناهج في المغرب في سنة 2004¹⁸ الأثر البالغ في تطبيق هذه المقاربة. ظهرت كبديلة للمقاربة بالأهداف والأخذ بعين الاعتبار الحلقات المفقودة في التدريس الهادف وتصحيح النقائص التي وقع فيها هذا النمط من التدريس، كما أنها مقارنة ذات نظرة بعيدة لطرق التدريس وأنشطة التعليم وأسس التقييم، تتمركز حول المتعلم لتحل منه فاعلا ناشطا يتعلم كيف يتعلم وكيف يمارس تعلمه عن دراية ووعي.¹⁹

2- خصائصها والأهداف المرجوة منها:

تعتبر هذه المقاربة تصحيح للمقاربة السالفة ألا وهي المقاربة بالأهداف التي تجعل التلميذ سجين ما يلقيه الاستاذ من أفكار ودروس غير قابلة للنقاش ما يجعل التلميذ يفقد آليات الإبداع والتفكير النقدي على حد قول ميرسون هو نوع من الانتحار، لذا فالمقاربة بالكفاءات غيرت الأدوار وجعلت التلميذ هو الفاعل الرئيسي في العملية التربوية ويبقى الاستاذ عملا مساعدا على بناء التلميذ بناء ذاتيا وتزويده بالمنهج البيداغوجي.

يمكن القول أن هتين المقاربتين عبارة عن حلقتين منفصلتين ومتصلتين في آن واحد،²⁰ كون أن بيداغوجيا الكفاءات هي نموذج من نماذج التدريس الهادف، تسعى إلى تطوير قدرات المتعلم ومهاراته الإستراتيجية والفكرية والمنهجية والتواصلية من أجل دمجها في محيطه ومن أجل تمكينه من بناء معرفته عن طريق التعلم الذاتي، لهذا لا يقتصر المعلم في المقاربة بالكفاءات على تلقين المعارف بل يتعداها إلى مساعدة المتعلمين على اكتساب القدرات العقلية والمهارات الحسية الحركية.²¹

كما يمكن اعتبارها نموذجا من نماذج التدريس الهادف فقط أن ما تدل عليه الكفاءة قيمة تتحقق على مستوى أبعد وأطول وليس على مستوى آني.²²

إن المقاربة بالكفاءات قد استندت في خلفيتها إلى الاتجاه السلوكي والبنائي والمعرفي، ويظهر تأثيرها من خلال المحافظة على الأساليب التقييمية القائمة على الأهداف والتقدير الكمي، إلا أن الجديد هو إشارتها للاتجاه البنائي والمعرفي القائم على الانطلاق من ذاتية المتعلم وما يتوفر عليه من قدرات معرفية ذاتية وتحت على الإدماج، والإنجاز، والتوظيف، والممارسة الناجعة، ومواجهة الوضعيات من خلال إدراكها وفهمها.

وعن طريق الإدماج الذي يدل على المعرفة يتم ربط المكتسبات ببعضها البعض وهو الذي يعبر عن السيورة التي يربط بها التلميذ معارفه السابقة بمعارف جديدة فيعيد بالتالي بنية عالمه الداخلي ويطبق المعارف التي اكتسبها في وضعيات جديدة ملموسة،²³ كما تسعى إلى إزاحة الحدود بين المواد العلمية ومنحه كفاءات تمكنه من تحديد مستقبله واختيار مشروع حياته.

سعت الجزائر إلى تبني هذه المقاربة تحت الضغوط الخارجية التي أملتتها الظروف وضغط اليونسكو إضافة إلى دواعي فلسفية سياسية أخرى، كتنبي الإصلاح الجديد الذي تم في ضوءه مراجعة برامج التعليم قصد بناء مناهج جديدة ومتكاملة تستجيب للشروط والمتطلبات العالمية الراهنة، كونها عبارة عن توجه جديد ترمي إلى الارتقاء بالتعلم إلى أسنى درجات التفكير والتربية والتكوين يستند إلى نظام متكامل من المعارف والمهارات والأداءات.²⁴

3- نقائصها: رغم إيجابيات هذه المقاربة إلا أن هناك بعض الجوانب المظلمة منها لأنه لا يمكن بناء الكفاءات إلا من خلال تحسين الوضعية المرفقة لها وذلك بمواجهة المشاكل المطروحة من إمكانيات ووسائل وتقنيات، لكن هل يمكن حقا توفير تلك الوضعية في المدرسة الجزائرية؟

سؤال يبقى مطروح لان عدم التحضير الكافي لتطبيق هذه المقاربة عرقل حركيتها على كل المستويات، بداية من المعلم الذي تغيرت أدواره من ملقي المعارف إلى مجرد مشرف وموجه²⁵ ووجوده أمام نموذج تدريس غير مهني له ومجبرا على تطبيقه رغم عدم إدراكه لمضمونها، فمن البديهي أن لا يكون هناك تغير فقط نمط الخطاب وبقي المعلم على طريقته السابقة يعمل على تلقين المعارف. لذاك يمكن القول ان ليس هناك أي قطيعة بينها وبين المقاربة بالأهداف.²⁶ لان الاختلاف يكمن لدى الاستاذ وطريقة تعليمه لذا يجب ان تتوفر لديه الكفاءة المعرفية التي تجعله يقدم الشرح الكافي والإحاطة الشاملة حسب متطلبات المنهج، إضافة إلى الكفاءة البيداغوجية التي تتعلق بكيفية إيصال المعارف على أحسن صورة لتمكين المتعلم من المتابعة السليمة وما تستلزمه من عناصر للتشويق وحسن توظيف الوسائل التعليمية وتطبيق الطرق والإستراتيجيات المناسبة للتدريس،²⁷ إضافة إلى القدرة على البحث المتواصل والمواكبة المستمرة للمستجدات في ميدان التربية.

كل هذه الكفاءات تستجوب جملة من العوامل المحيطة بالمهنة سواء على المستوى النفسي، أو المهني، أو العقلاي. ضعف التكوين البيداغوجي للمشرفين والتربويين والمفتشين والمعلمين الذي يعتبر صمام الامان الذي يضمن فعالية ونجاح أي مقارنة بيداغوجية، وللأسف الشديد قد بين الواقع المر ضعف التكوين على حد سواء حول مفاهيم أهداف المقاربة وكيفية تطبيقها ما أخفق عملية الإصلاح في تحقيق المسعى الذي وضع من اجله. ويعود هذا الضعف إلى الصعوبات المادية لعدم كفاية المؤسسات المكلفة بالتكوين ومحدودية القدرات الاستيعابية وقلة الوسائل التقنية البيداغوجية الضرورية لتحضير مؤسسات التكوين، إضافة إلى تكثيف التكوين على حساب تكوين النوعية والنخبة مما أدى إلى خلق فائض يصعب تسييره في الميدان. وهي نفس المشاكل التي تلازم المدرسة الجزائرية إلى اليوم.²⁸

عدم قراءة المناهج والسندات قراءة تحليلية بسبب كثرتها وكذا الإختلالات الموجودة بين المناهج والوثيقة المرفقة نظرا لعدم إخضاعها للتحرير.²⁹ الشيء الذي أدى إلى التغيرات التي مستها (تحقيقات 2008-تحقيقات 2009-مناهج 2011) ما صب عليها الكم الهائل من المفاهيم الجديدة كالكفاية- التدريس بالوضعيات- الإدماج- التحويل، الشيء الذي جعلها مبهمة وصعبة الفهم والتطبيق على المعلمين والأساتذة، بالإضافة إلى اقتصار التكوين على الندوات والأيام التربوية والملتقيات الجهوية التي تعتبر غير كافية، كون مدة التكوين قصيرة إضافة إلى قلة المصادر والمراجع.

خلق صعوبة في التكامل بين التعليم النظري والتطبيقي نظرا لنقص الموارد اللازمة وتعقيد الأشياء عكس تبسيطها.

- رغم اعتماد هذه المقاربة في الكثير من الأنظمة التربوية في العالم وامتيازها بالطابع العلمي وانتشارها بحجم كبير إلا أنها لم تف بالغرض المطلوب في الجزائر، كونها مقارنة مستوردة على طبيعتها الحقيقية دون إدخال التعديلات اللازمة عليها من أجل تكييفها مع الواقع الجزائري وتوفير الإمكانيات والوسائل اللازمة لها، إلا أن الضغط الخارجي الذي عرفته لم يسمح لها بتهيئة الظروف وتطبيقها دون سابق إنذار، ما أدى إلى تدني نوعية التعليم وجعلها تحتل المرتبة 119 عالميا من بين 140 دولة حسب تقرير المنتدى العالمي لجودة التعليم.³⁰ وهو ما استدعى التفكير في مقارنة بديلة تعرف بالمقاربة بالكفاءة الشاملة.

ثالثا: المقاربة بالكفاءة الشاملة

عمدت الجزائر إلى انتهاج مقارنة جديدة نتيجة النقائص والنتائج السلبية التي عرفتتها جراء المقاربة بالكفاءات والتي لم يتم التعامل بها بطريقة تجعل التلميذ الجزائري يتفوق ويتعلم كيف يعيش، لهذا فإن مصطلح الكفاءة الشاملة الذي يعتبر المقاربة الجديدة التي أتت بها المدرسة الجزائرية جاءت لتجاوز نقائص المقاربة السالفة وتحل مكانها.

تم استحداث المقاربة بالكفاءة الشاملة في ظروف غامضة و ظروف مستعجلة لتطبيقها في الدخول المدرسي المقبل للسنة الدراسية 2016-2017، اشير إليها لأول مرة في الإصلاح الأخير الذي شهدته قطاع التربية والتعليم في الجزائر سنة 2016 وما سمي بالجيل الثاني. وقد تم عرضه في يوم برلماني في 17 أفريل 2016.³¹

1- تعريفها:

المقاربة بالكفاءة الشاملة هي مقارنة تهدف إلى جعل المعارف النظرية سلوكيات ملموسة عن طريق استغلال كل نقاط التقاطع بين المواد وجعلها مواد مستكملة موحدة لتشكيل الكفاءة المستهدفة.³²

بمعنى أنها مقارنة تركز على طرح المكتسبات + تنمية القيم والسلوكيات بالتركيز على كيفية تناول المعرفة والتعامل بها حتى يصبح التلميذ مسؤولا على نفسه يستطيع حل مشاكله اليومية، لهذا على التلميذ استخدام معارفه ومكتسباته التي استنتجها من تقاطع المواد وتشاركها في الحياة اليومية.

وخير مثال على ذلك ما تقدم إليه الأستاذ موسعي بوزيد مفتش التعليم المتوسط، ومن خلال المقاربة التي أتى بها "كيف يمكن الاستفادة من مادة مجردة كالرياضيات والتعامل بها في حل المشاكل" وتوصل إلى أنه يجب تنظيم المادة وتغيير أساليب تناولها لتصبح وسيلة لبناء التعلم ومعرفة كيفية توظيفها.³³

2- الانتقال من الجيل الأول إلى الجيل الثاني:

إضافة إلى نقائص المقاربة بالكفاءات التي تم الإشارة إليها سلفا في هذا المقال يمكن إضافة عائق الجهود الفردية التي تم التعامل بها نظرا لعدم وجود مرجعية قانونية يستند إليها ولا وجود للقانون التوجيهي، إضافة إلى الظروف الإستعجالية وعدم تكوين الأساتذة والإحتلالات الحاصلة بين المنهاج الدراسي والكتب المدرسية، إضافة إلى تخفيض المحفظة والتخلص من مشكلة العبث جراء التركيز على الموارد المعرفية.

لهذا تم الانتقال إلى الجيل الثاني والتعامل بالمقاربة الشاملة التي تحتوي على مجموعة من الخصائص أهمها:³⁴

تقاطع وتشارك المواد فيما بينها؛

نفس الموارد المعرفية مع المقاربة بالكفاءات وإدراج البعد القيمي في المواقف؛

تحسين الممارسات في القسم للرفع من مستوى التحصيل بالنسبة للطفل؛

إعطاء مهام أخرى للأستاذ كالملاحظة، تحمل المسؤولية، والنقد؛

الانتقال من البرامج إلى المناهج.

بصيغة مبسطة فإن هذه المقاربة تهدف إلى تعليم التلميذ كيفية العيش لوحده والتصدي لمواقف الحياة اليومية من خلال إدراج معارفه الشاملة في العمل اليومي.

3- مخاطرهما:

إن ما تحمله المقاربة بالكفاءة الشاملة من الناحية النظرية وما نفهمه من الوهلة الأولى أن الجزائر قد وجدت الحلقة المفقودة في نظامها التربوي وأنها أفضل مقارنة يمكن الاستعانة بها لتحقيق متطلباتها، والتصدي لشبح العولمة التي وجب علينا التعامل معها والعيش معها خاصة وأن العولمة انتقلت من المجال الإقتصادي المحض إلى المجال الثقافي والتربوي. وما ينبغي التنويه إليه بالنسبة للجزائر عدم التسرع في اعتماد هذه المقاربة دون أن تتكيف وفق الخصوصيات الحضارية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية حتى تكون الاستفادة مقتصرة على الطابع التقني والبيداغوجي، وعدم المساس بقيم وحضارة الدولة الجزائرية خاصة وأن المقاربة بالثقافة الشاملة تتميز بالطابع اللساني الغالب عليها، وطبقا لها فإن تعلم اللغة الأخرى تدرس بثقافة تلك اللغة وقيمها الأصلية،³⁵ والكفاءة في مجال تعليم اللغة أربعة أصناف الكفاءة الاتصالية، الكفاءة المنهجية، الكفاءة الثقافية والكفاءة المتعلقة بالقيم العاطفية،³⁶ وهنا يمكن تؤثر قيمنا من خلال الخاصيتين الأخيرتين بحيث تسعى إلى تمكين التلاميذ من التكيف مع القيم الإنسانية والروحية التي أحاطها الأدب من مختلف الثقافات الإنسانية. وهذا ما أحالت إليه وزيرة التربية الفرنسية عند زيارتها إلى الجزائر وتقديم البلد الفرنسي على أنه ثقافة، لذا يجب تدريس اللغة الفرنسية على العادات والقيم الفرنسية.

ومن بين أهداف تعليمية اللغة الثقافة نسوية قيم المتلقي وخلخلة القيم الأصلية وجعلها قابلة لأن تبدل باللغة التي تعلم بها، إضافة إلى أن هذه المقاربة تمس قلب المجتمع وتجعل المتلقي يتساءل عن قيمه الأصلية التي أصبحت بالنسبة له هشّة ونسبية. وبالتالي يتنازل عنه برمشة واحدة ويجسد القيم الدخيلة. وهذا أكبر خطأ يمكن إدراجه في المدرسة الجزائرية لذا يجب معرفة كيفية التعامل معها خاصة وأن الجزائر تعرف تشوها كبيرا في قيمها إضافة إلى الصراعات الايديولوجية من أجل اللغة بين المعربين والمفرنسين، لذا لا يجب الإطلاع من نافذة واحدة (المدرسة الفرنسية) فقط، كما أن تعلم التقاليد الدخيلة سيزيد الأوضاع سوءا. ولكن للأسف الشديد بدأ ادخال نصوص منافية لعاداتنا في المدرسة الجزائرية وخير دليل على ذلك نص اللغة الفرنسية المقدم في مسابقة توظيف أساتذة الطور الثانوي أفريل 2016 والزامية الكتابة من اليسار إلى اليمين حتى في مواد اللغة العربية في ذات المسابقة كذلك.

- خاتمة:

يمكن الإقرار بضرورة الإصلاح وضرورة تحديد المناهج والبرامج، واستخدام مقاربات جديدة ولكن توفير البيئة الملائمة وتجريب المقاربة على فئة خير من أن تروح أجيال، والتربية الجزائرية في تدهور مستمر جراء استيراد ما ليس لها وتطبيقه في ظروف إستعجالية وأوقات غير ملائمة، والعولمة التربوية أكبر تهديد على المدرسة الجزائرية من خلال إنشاء أفراد مشوهين في القيم وفي العادات التي تعتبر ميزة كل مجتمع وبالتالي تحقيق تطبيق العولمة ومخاطرها.

وفي الأخير يمكن القول أن التغيير ليس في المقاربات والانتقال من المقاربة بالأهداف إلى المقاربة بالكفاءات إلى المقاربة بالكفاءة الشاملة، التغيير الحقيقي يكمن في تغيير الأوضاع والظروف المدرسية وتعليم التلاميذ كيفية التفاعل الاجتماعي

وحل مشاكله وليس تغيير نمط الخطاب. لان عدم تكوين الأساتذة سيعيد إنتاج نفس الوضعية لأنه هو الموجه والمنفذ الرئيسي لعملية التدريس.
الهوامش والمراجع:

¹ Ouardia Ait Amar Meziane, de la pédagogie par objectifs a l'approche par compétences(migration de la compétence), synergies chine, n9, 2014, p146.

² Bouallag Mohamed, de l'approche par les objectifs a l'approche par les compétences, revue compus, n03, p.22.

³ محمد بوعلاق، مقارنة الكفاءات بين النظرية والتطبيق في النظام التعليمي الجزائري، الرغبة : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2014، ص. 48.

⁴ نفس المرجع، ص. 50.

⁵ أحمد بدر، مجتمع المعرفة بين الإطار الفكري والتطبيقات العملية، القاهرة: الدار المصرية السعودية للنشر والتوزيع، 2011، ص. 172.

⁶ نفس المرجع، ص. 173.

⁷ بوعلاق، مرجع سابق الذكر، ص ص 83-84.

⁸ Xavier Roegiers, l'évaluation selon la pédagogie de l'integration (est-il possible d'évaluer les compétences des élèves ?, p108.

⁹ مالك بن نبي، مشكلة الحضارة مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، سوريا: دار الفكر، 2000، ص. 13.

¹⁰ نفس المرجع، ص. 11.

¹¹ ناصر ميلاد محمد حسين، سياسات الملائمة بين مخرجات التعليم العالي ومتطلبات سوق العمل في الدول العربية، مصر: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2011، ص. 197.

¹² نفس المرجع، نفس الصفحة.

¹³ نفس المرجع، نفس الصفحة.

¹⁴ نفس المرجع، ص. 198 .

¹⁵ مرجع سابق الذكر، ص. 519.

¹⁶ بوعلاق، مرجع سابق الذكر، ص. 39.

¹⁷ أسيا العطوي، صعوبات تطبيق المقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية من وجهة نظر معلمي التعليم الابتدائي (دراسة ميدانية بولاية سطيف)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، تخصص إدارة الموارد البشرية، جامعة سطيف: فرحات عباس، 2009-2010، ص. 26.

¹⁸ Xavier Roegiers, l'apc dans le système éducatif Algérien, p. 53.

¹⁹ نصيرة رداق، "متطلبات التدريس بالكفاءات"، ملتقى التكوين بالكفايات في التربية، ورقلة: جامعة قاصدي مرباح ، ص. 462.

²⁰ محمد بن يحي زكريا، عباد مسعود، التدريس عن طريق المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات(المشاريع وحل المشكلات)، الجزائر: المعهد الوطني لتكوين مسندمي التربية وتحسين مستواهم، 2006، ص.....

²¹ بوعلاق، مرجع سابق الذكر، ص. 48.

²² بن يونس الطاهر، "مقاربة الكفاءات بين النظرية والتطبيق في النظام التعليمي الجزائري (الجانب النظري)"، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني حول الكفاءات، ج1، المنعقد يومي 04-05 ديسمبر 2013، 2014، ص. 282.

²³ لخضر لكحل، "المقاربة بالكفاءات (الجدور والتطبيق)"، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص، ص. 79. أنظر كذلك: حديدان صبرينة، معدن شريفة، "مدخل إلى تطبيق المقاربة بالكفاءات في ظل الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر"، ملتقى التكوين بالكفايات في التربية، ورقلة: جامعة قاصدي مرباح، ص. 202.

²⁴ راضية ويس، "المقاربة بالكفاءات ماهيتها ودواعي تبنيها في المنظومة التربوية الجزائرية"، مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية، ع11، 2015، ص107.

²⁵ ذهبية قوري، "خصائص ومميزات الوضعية الوضعية الإدماجية ضمن التدريس بالكفاءات (الإدماج في كتاب اللغة العربية للسنوات الأولى ابتدائي نموذج)"، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني حول الكفاءات، ج1، المنعقد يومي 04-05 ديسمبر 2013، 2014، ص93.

²⁶ Zohra Hassani, « la réforme du système éducatif en Algérie(quels changements dans les pratiques des enseignants ? », revue insaniyat, n60-61, 2013, p. 24.

²⁷ Ait Amar Meziane, Op. Cit., p86.

²⁸ ج،ج،د،ش، تقرير حول تشخيص الوضع الراهن في مجال التربية والتعليم، اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية، اللجنة الفرعية رقم 02 المكلفة بموضوع تحديد نظام تكوين المكونين، 9-10 جويلية 2000، ص 10.

²⁹ أحمد سعودي، "صعوبات تنفيذ السندات التربوية من وجهة نظر المعلمين والأساتذة في مرحلة التعليم الابتدائي (دراسة ميدانية بالمدارس الابتدائية التابعة للمقاطعة 10-بلدية برهوم- المسيلة"، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني حول الكفاءات، ج1، المنعقد يومي 04-05 ديسمبر 2013، 2014، ص 135.

³⁰ جريدة الفجر، الجزائر في المراتب الاخيرة لجودة التعليم في 2015، صدرت في 27 جانفي 2016.

³¹ نظمت لجنة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي والشؤون الدينية بالتنسيق مع وزارة التربية الوطنية "المنتدى البرلماني حول البرامج والمناهج التربوية على ضوء الإصلاحات"، يوم الاحد 17 أفريل 2016. بمقر المجلس الشعبي الوطني، بقاعة المحاضرات رابع بيطاط، وقد تناول مجموعة من المداخلات حول إطار المرجعية السياسية والترتيبات البيداغوجية في البرامج الجديدة، كما تناول برامج الإطار المرجعي والمنهجي ونقاط التطور بين البرامج القديمة والمناهج الجديدة.

³² موسعي بوسعيد، الترتيبات البيداغوجية في البرامج الجديدة (دراسة حالة اللغة العربية والرياضيات)، مداخلة ألقاها في المنتدى البرلماني حول البرامج والمناهج التربوية على ضوء الإصلاحات، الاحد 17 أفريل 2016، على الساعة 10:30.

نفس المرجع. ³³

³⁴ عبد العزيز براح، برامج الجيل الثاني للإصلاحات: الإطار المرجعي والمنهجي نقاط التطور بين البرامج القديمة والمناهج الجديدة، مداخلة ألقاها في المنتدى البرلماني حول البرامج والمناهج التربوية على ضوء الإصلاحات، الاحد 17 أفريل 2016، على الساعة 11:00.

³⁵ حمزة بلحاج، "كل شيء عن فضيحة التدخل الفرنسي في مناهجنا التربوية"، حصة هنا الجزائر، الشروق نيوز، 25 مارس 2016، الساعة 19.30.

³⁶ Bouallag, opcit, p27.